



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"فَيَقْرَأ" هو النص الأسبوعي الأول من كتاب "فَيَقْرَأ" (أي سفر اللاويين)، وهذا السفر يحمل نفس العنوان الذي يحمله النص الأسبوعي لأنها الكلمة التي تبدأ بها الآية الأولى من السفر. يبدأ هذا النص الأسبوعي بالمقطع الأول وينتهي بالآية السادسة والعشرين من المقطع الخامس.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

خَطَايَا الْقَائِدِ¹

كما رأينا مرّات عديدة في هذا الكتاب، يرتكب القادة أخطاءً، وهذا أمر لا مفرّ منه. وهذا بالذات ما يلمّح إليه النص التوراتي الأسبوعي "فَيَقْرَأ". فليست القضية في وقوع الخطأ من عدمه، بل في كيفية تعامل القائد مع خطئه، وطريقة مواجهته وتجاوزه. وهنا يظهر الامتحان الحقيقي للقيادة، كما توضّحه التوراة بطريقة خفية.

يتناول هذا النص الأسبوعي قرايين الخطايا التي تُقدّم حين يقع الإنسان في خطأ غير مقصود. والمصطلح العبري الذي يعني خطأ غير مقصود هو "شَغَاغَاه"، كما ورد ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية الخامسة والثلاثين من المقطع الرابع من سفر اللاويين. والمقصود أنّ الإنسان قد يفعل أمرًا محرّمًا من غير أن يعلم ذلك، إمّا نسيانًا أو لجهله بقوانين الشريعة اليهودية، أو لعدم إدراكه لبعض الحقائق. فقد يحمل مثلًا شيئًا في مكان عام في يوم السّبات،* إمّا لجهله بحرمة حمل الأشياء في الأماكن العامة يوم السّبات، أو لأنّه نسي أنّه يوم السّبات.

وقد فرّقت التوراة بين فئات أربع يقع منها الخطأ: أولًا الكاهن الأكبر، ثانيًا الجماعة بأسرها، والمقصود بها "السّנהدرين"، أي المحكمة العليا، ثالثًا القائد أو ما يُسمّى بالـ"ناسي"، ورابعًا الفرد العادي.

1. للاطلاع على نسخة مطوّلة من هذا المقال، انظر "The Sins of a Leader" على موقع رابي ساكس: <http://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-5768-vayikra-the-sins-of-a-leader/>

*ملاحظة توضيحية من المُترجم: من بين المحظورات في يوم السّبات، بحسب الشريعة اليهودية (الـ"هالاخاه")، حملُ أيّ غرضي في الأماكن العامة، إذ يُعدّ ذلك من الأعمال المحرّمة. غير أنّه منذ العصور الريّانية، سنّ الحاخامات نظامًا يُعرّف باسم "عبروف"، وبموجبه يُعاد تعريف بعض المناطق على أنّها مجال واحد مشترك، فيُصبح الحمل داخلها مباحًا في يوم السّبات.

وفي ثلاثٍ من هذه الحالات يُستهلّ الحكمُ بالكلمة العبرية "إم" أي "إذا"، كما ورد في كلّ من الآية الثانية والآية الثالثة والآية الثالثة عشرة من المقطع الرابع من سفر اللاويين. أمّا حين يتحدث النص عن القائد، فيستعمل بدلاً من ذلك كلمة "آشير" أي "حين/عندما"، كما ورد في الآية الثانية والعشرين من المقطع الرابع من سفر اللاويين. والفرق بينهما لافت: فبالنسبة للكهنة أو للمحكمة العليا أو للفرد، فإنّ الخطأ ممكن الحدوث؛ أمّا بالنسبة للقائد، فهو محتمل جدًّا بل أقرب إلى أن يكون أمرًا مؤكدًا. فلا بدّ أن يُخطئ القائد. وكأنّ الأمر أشبه بـ"مخاطرة ملازمة لمهنتهم"؛ ولذلك استخدمت التوراة، عند الحديث عن خطايا الناس، كلمة "حين"، لا "إذا".

كلمة "ناسي" هي اسم جامع للقائد، سواء كان ملكًا، أو حاكمًا، أو قاضيًا، أو شيخًا حكيمًا من شيوخ الجماعة، أو أميرًا. وغالبًا ما يُراد بها صاحب السلطة السياسية. وفي عصر "مِشناه"، أي الفترة التي دُوّنت فيها "المِشناه" في القرون الأولى للميلاد، والتي تُعدّ أقدم مجموعة مُدوَّنة من التعاليم الشفوية اليهودية، كان الـ"نسيئيم"، وهي جمع كلمة "ناسي"، أي الرؤساء، وأشهرهم من عائلة هليل، يتولّون أدوارًا شبه حكومية بوصفهم ممثّلين للشعب اليهودي أمام السلطات الرومانية، ومن هنا كان لمنصب الـ"ناسي" بُعدٌ ديني وسياسي معًا.

وقد تساءل الحاخام موشيه/موسى سوفير (من براتيسلاف، 1762–1839) في إحدى الـ"رسبونسا" Responsa (بمعنى الأسئلة الدينية والردود عليها):² كيف أصبح منصب الـ"ناسي" استثناءً، في حين أنّ المناصب القيادية في التوراة لم تكن في الأصل وراثية، حيث لا تنتقل عادةً من الأب إلى الابن؟ غير أنّ منصب الـ"ناسي"، على خلاف ذلك، كان في كثيرٍ من الأحيان ينتقل فعليًا من الأب إلى الابن. وكانت إجابته ذات بُعد تاريخي ثاقب، ومفادها أنه مع أفول الملكية في فترة الهيكل الثاني وما بعدها، تولّى الـ"ناسي" العديد من أدوار الملك، فأصبح له دور داخلي وخارجي يمزج بين السياسة والدبلوماسية من جهة، والدين من جهة أخرى. وهذا، في العموم، هو ما يُقصد بكلمة "ناسي".

لكن، لماذا ترى التوراة أنّ هذا النوع من القيادة معرّض أكثر من غيره للخطأ؟ قدّم المفسرون ثلاثة تفسيرات:

في شرحه للآيتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين من المقطع الرابع من سفر اللاويين، يستشهد الحاخام الإيطالي عُفادي بن يعقوف سُفورنو بالقول الوارد في الآية الخامسة عشرة من المقطع الثاني والثلاثين من سفر التثنية: "فَسَمِنَ يَشُورُونَ فَرَقَسَ"، الذي يعني أنّ أولئك الذين يتمتعون بامتيازات تفوق الآخرين، سواء من حيث الثروة أو السلطة، قد يفقدون وازعهم الأخلاقي. ويتفق رابينو (الحاخام) بحجى مع هذا الرأي، ويضيف أنّ الحكّام يميلون إلى التكبر والتعالي. والفكرة الضمنية التي يجمعان عليها هي تلك التي لخصها اللورد أكتون بعد قرون بعبارة الشهيرة: "السلطة تميلُ للإفساد، أمّا السلطة المطلقة فتُفسدُ إفسادًا مُطلقًا".³ وهي، في حقيقتها، تُعبّر عن إحدى المواضيع الرئيسية التي يتردّد صداها في أسفار التناخ كلّها.

2. "شوت"/Responsa ختم سوفر، أَوْرَح حبيب، 12.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: يَشُورُونَ / יְשׁוּרוֹן في التفاسير اليهودية هو اسم شعري لبني إسرائيل، وليس شخصية مستقلة. يظهر في التناخ أربع مرّات، ويُستعمل غالبًا كلقب تكريم ومحبة لإسرائيل، لكن في الآية: "فَسَمِنَ يَشُورُونَ فَرَقَسَ" يأتي بنبوة عتاب وسخرية أخلاقية، فالشعب الذي كان يُفترض أن يكون مستقيمًا، محبوبًا، قريبًا من الله عزّ وجلّ، استغنى وامتلاً نعمه ثم تمزّد على من أنعم عليه Jewish Encyclopedia. يذكر أن جميع المفسرين يطبقون الاسم على إسرائيل، وأن الترجمات الآرامية تفهمه بمعنى "إسرائيل" نفسه. من ناحية الجذر، يربطه كثير من المفسرين بكلمة יְשׁוּרָ / יָשָׁר، أي: المستقيم، القويم، الصالح. لذلك فالمعنى الضمني هو: "الشعب المستقيم" أو "صاحب الاستقامة". ابن عزرا يقول صراحة إن يَشُورُونَ هو إسرائيل، وربما يكون مشتقًا من معنى الاستقامة، أي إن "المستقيم" هو الذي سَمِنَ ثم رَفَسَ.

3. هذه العبارة الشهيرة وردت في رسالة كتبها اللورد أكتون عام 1887. انظر: Martin H. Manser and Rosalind Fergusson, *The Facts on File Dictionary of Proverbs*, 1887. انظر: (New York: Facts on File, 2002), ص 225.

وقد استشهد الحاخام إيلي مونك بكتاب الزوهار⁴ وهو النصّ المؤسّس للتصوّف اليهودي (القبلاه)، الذي يُنسب تقليدياً إلى الحاخام شمعون بار يوحاي، وإن كان قد جُمع في القرن الثالث عشر. ومن خلاله يقدّم مونك تفسيراً آخر: فالكهنة الأكبر وأعضاء الـ"سنهدين" كانوا في تماسّ دائم مع كلّ ما هو مقدّس، حيث كانوا يعيشون في عالمٍ من المُثل العليا. أمّا الملك أو الحاكم السياسي، فكان مشغولاً بشؤون دنيويّة: الحرب والسلم، إدارة الدولة، والعلاقات الدوليّة. ولأنّ همومه اليوميّة لم تكن رويّة بل عمليّة ونفعيّة، فقد كان أكثر عُرضة للخطأ والخطيئة.

أمّا الحاخام مئير سمحاه هاكوهن من دفينسك⁵ فقد أشار إلى أمر آخر: أنّ الملك أكثر عرضة للانجراف وراء أهواء الشعب ومطالبه، فالكهنة أو القاضي في الـ"سنهدين" لم يكن مضطراً إلى إرضاء الناس أو الحفاظ على شعبيّته، أمّا الملك فكان يعتمد على تأييدهم، وقد يتم الإطاحة به دون هذا التأييد الشعبيّ. لكن إرضاء الشعب هو أمرٌ محفوفٌ بالمخاطر، لأنّ ما يريده الناس لا يتوافق دائماً مع ما يريده الله عزّ وجلّ. ومن هنا رأى الحاخام مئير سمحاه أنّ هذا ما دفع الملك دافيد/داوود لإصدار أمرٍ بإجراء إحصاء سكانيّ، كما ورد في المقطع الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني، وما جعل الملك تسدقيّا/صديقاً يتجاهل نصيحة النبيّ يرمياهو/إرمياء ويتمرّد على ملك بابل، كما ورد في المقطع السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني. وهكذا يتّضح أنّ القائد السياسي، ولعدة أسبابٍ مترابطة، هو أكثر عرضةً للإغراء والخطأ من الكهنة أو القاضي.

وهناك أسباب أخرى تجعل القائد أكثر عُرضة للزلل: فالسياسة هي ميدان صراع، لأنّها تتعامل مع قضايا الثروة والسلطة، وهما في الغالب، على المدى القصير، أشبه بمباريات ذات مجموع صفريّ، أي كلّما زاد نصيب أحدهم قلّ نصيب الآخر، وبسعي الفرد إلى تعظيم منفعته الشخصية أو منفعة جماعته، فإنّه يدخل في صدامٍ مع آخرين يسعون بدورهم إلى تعظيم منفعتهم الشخصية أو منفعة جماعتهم.

ولهذا تبقى سياسة المجتمعات الحرّة ساحة صراعات لا تهدأ. أمّا المجتمعات التي تخلو من النزاع فليست إلّا أنظمة استبداديّة أو شموليّة تُسكّت فيها الأصوات المعارضة. والديانة اليهوديّة هي، في جوهرها، احتجاج دائم ضدّ الاستبداد. لذلك، لا مفرّ في المجتمع الحرّ من أن يرضي القرار الذي يتّخذه السياسي بعض الناس ويُغضب البعض الآخر.

وتتطلب السياسة بطبيعتها اتخاذ قرارات صعبة، إذ على القائد أن يوازن بين مطالب واحتياجات متعارضة، وقد يخطئ في ذلك أحياناً. ومن أبلغ الأمثلة التي تُطرح في هذا السياق، والذي يتعلّق باتخاذ أحد أكبر القرارات المصيرية في التاريخ اليهودي، ما جرى بعد موت الملك شلومو/سليمان، حين جاء الشعب إلى ابنه وخلفه رخّععام/رحبعام، وكان يقودهم يرقعام/يربّعام، ليشتركوا من أن والده الملك شلومو فرض أعباءً لا تُحتمل عليهم، لا سيّما خلال بناء الهيكل، وطالبوه بأن يُخفّف عنهم تلك الأعباء.

طلب الملك الجديد رخّععام المشورة من مستشاري أبيه، فنصحوه أن يُدعّن للشعب، قائلين له: اخدمهم ليخدموك. غير أنّه استشار أصدقاءه، فأشاروا عليه بعكس ذلك، بأن يرفض طلبهم ويُظهر لهم أنّه قائد قوي لا يخضع للضغط، وذلك كما ورد ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية الخامسة عشرة من المقطع الثاني عشر من سفر الملوك الأوّل.

وكانت تلك نصيحة كارثيّة، ترتّب على الأخذ بها انقسام المملكة إلى قسمين: حيث اتّبعَت الأسباط العشر الشماليّة يرقّععام، ولم يبقَ موالياً للملك رخّععام سوى السبطيّين الجنوبيّين، اللذين عُرفا مُجتمعيّن باسم يهوذا/يهوذا. وبالنسبة لشعب إسرائيل في أرضه، كان الانقسام بداية النهاية؛ فقد كانوا دائماً شعباً صغيراً تحيط به إمبراطوريّات كبيرة وقوية، ولم يكن في وسعهم البقاء إلّا بالوحدة، والمعنويّات العالية، والإحساس الراسخ بالرسالة التي يحملوها. أمّا بعد الانقسام، فقد أصبح سقوط كلتا المملكتين - إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب - تحت سطوة قوى أخرى مسألة وقت.

4. Elie Munk, *The Call of the Torah: Vayikra* (Brooklyn, N.Y.: Mesorah Publications, 1992), 33.

5. *Meshekh Aikhma*, ad loc.

إنَّ السبب الذي يجعل القادة، على عكس الكهنة والقضاة، لا يستطيعون تجنب ارتكاب الأخطاء، هو عدم وجود كتاب قوانين أو دليل يُدرّس كيفية القيادة بشكل معصوم من الخطأ. فالكهنة والقضاة يتبعون قوانين محددة، أمّا القيادة فلا قوانين لها، فكلّ موقف قيادي فريدٌ من نوعه. وقد عبّر الفيلسوف اليهودي-الروسي-البريطاني أشعيا برلين، وهو منظر اجتماعي سياسي ومؤرخ فكريّ من أبرز مفكري القرن العشرين وباحث ليبرالي مرموق، عن هذا الأمر في مقاله "الحكم السياسي"،⁶ قائلاً إنّ في مجال العمل السياسي قوانين قليلة، وما يحتاجه القائد بدلاً منها هو المهارة في قراءة الموقف والتفطن إلى خصوصيّة كلّ موقف وتمييز عناصره المتفرّدة. فالساسة الناجحون "لا يُفكّرون وفق مفاهيم عامّة"، بل "يُدركون التركيبة الفريدة التي تُشكّلُ موقفًا بعينه، دون غيره من المواقف".⁷ وقد شبّه برلين مهارة القيادة هذه بالموهبة التي يمتلكها كبار الروائيين مثل تولستوي وبروست.⁸

إنّ تطبيق القواعد الجامدة على مشهدٍ سياسيٍّ دائم التغيّر يؤدّي إلى خراب المجتمعات، وكانت الشيوعيّة مثلاً صارخاً على ذلك. ففي المجتمعات الحرّة يتبدّل الناس، وتتغيّر الثقافة، والعالم خارج حدود الدولة لا يظلّ ساكناً، ولهذا يُدرك السياسيّ أنّ الحلّ الذي كان يصلحُ قبل عقدٍ أو قرن قد لا يصلح الآن. وفي السياسة يسهل الوقوع في الخطأ، ويصعب اتخاذ القرار الصحيح.⁹

وهناك سبب آخر يجعل القيادة مهمّةً عسيرة، وقد أشار إليه الحاخام نَحْمِيَاه من حكماء عصر الـ"مِشناه"، حين فسّر الآية الأولى من المقطع السادس من سفر الأمثال: "يَا ابْنِي، إِنَّ صَمْنْتَ لَصَاحِبِكَ، إِنَّ صَفَقَتَ كَفْلِكَ لِعَرِيٍّ".* قال الحاخام نَحْمِيَاه: ما دام الإنسان منشغلاً بورعه الشخصيّ وحده فليس عليه أن يهتمّ بالشؤون العامة ولا يُعاقب بسببها، أمّا إذا جُعِلَ في موضع القيادة وتقلّد أحد المناصب، فلا يحقّ له أن يقول: "يجب أن أهتمّ بمصالحتي فقط ولسْتُ معنيّاً بأمر الجماعة". بل على العكس، تقع أعباء المجتمع كلّها على عاتقه، فإذا رأى إنساناً يظلم إنساناً آخر أو يقترب معصية ولم يحاول منعه، فإنّه يُحاسَب عنه. ويُنادي الله عزّ وجلّ قائلاً: "يَا ابْنِي، إِنَّ صَمْنْتَ صَاحِبِكَ"، أي إن أصبحت مسؤولاً عنه، فقد دخلت حلبة مصارعة، ومن يدخل الحلبة فإنّما إما أن يُهزم أو أن ينتصر.¹⁰

فالفرد العاديّ لا يُحاسَب إلّا على خطاياها، أمّا القائد فيُحاسَب على خطايا شعبه أيضاً، أو على الأقلّ على الخطايا التي كان في وسعه أن يمنعها، وذلك كما ورد في باب الشّبات 54 ب من التلمود. ومع السلطة تأتي المسؤولية، وكلّما عظمت السلطة تعاظمت المسؤولية.

6. Isaiah Berlin, *The Sense of Reality* (Chatto and Windus, 1996), 40–53.

7. نفس المصدر . 45.

8. علّق الفيلسوف السياسي مايكل والزر في كتابه في ظلّ الله *In God's Shadow* (New Haven, Conn.: Yale University Press 2012)، بأنّ النظريّة السياسيّة، التي كانت بالغة الأهميّة في اليونان القديمة، تكاد تكون غائبة تماماً عن الكتاب المقدّس اليهودي. وهو محقّ في ذلك بلا شك. غير أنّي أرى، وكذلك كان سيعتقد أشعيا برلين، أنّ لهذا سبباً واضحاً: ففي عالم السياسة قلّما توجد قوانين عامّة، والتوراة، التي هي كتاب قوانين، حين تتناول موضوع السياسة وملوك إسرائيل مثلاً، لا تقدّم قوانين بل تروي قصصاً.

9. ليس خافياً أنّ هذا ليس هو المعنى المباشر للنص؛ فالخطايا التي كان القادة يقدّمون من أجلها قرباناً كانت ذنوباً روحيّة، لا أخطاءً في التقدير السياسي.

*ملاحظة توضيحيّة من المترجم: إذا التزمّت بالدين عن شخصٍ آخر (غريب)، فقد تجد نفسك في وضعٍ تُضطرّ فيه إلى سداد الدين من جيبك. فعمليّاً، هذا الالتزام يجعلك مسؤولاً عن الدين أمام الدائن، وكأنّك أنت المستدين.

10. Exodus Rabba, 27:9

ولا توجد قواعد ثابتة للقيادة تصلح لكل مكان وزمان، ولا يوجد كتابٌ تعليمي أو دليلٌ يضمن النجاح المطلق في القيادة، فكلّ موقفٍ جديد يفرض تحدّيًا خاصًا به، وكلّ عصر يطرح تحدياتٍ خاصة. وربما اضطرّ القادة إلى اتخاذ قرارات لا يُقدّم عليها إنسانٌ ذو ورع أخلاقيٍّ في حياته الخاصة، لكنّها تُفرض عليهم لمصلحة شعوبهم: قد يقرّرون شنّ حرب، وهم يعلمون أنّ أناسًا سيموتون، وقد يفرضون ضرائب، وهم على عِلْمٍ بأنّ بعض الناس سيصبحون فقراء جزاء ذلك. ولن يعرف القائد إن كان مصيبًا في قراره إلا بعد وقوع الأحداث، وقد يتوقّف الأمر على عوامل خارجة عن إرادته.

إنّ الرؤية اليهوديّة للقيادة هي مزيج فريد من الواقعيّة والمثاليّة: واقعيّة في إقرارها بأنّ القادة لا مفرّ لهم من الوقوع في الخطأ، ومثاليّة في خضوعها الدائم للأخلاق، وفي جعلها السّلطة مُقترنةً بالمسؤوليّة، والبراغماتيّة مُحكّمةً إلى صوت الضمير. وكما قلّنا من قبل: ما يهمّ حقًا ليس امتناع القادة عن ارتكاب الأخطاء، فهذا أمرٌ ملازمٌ لطبيعة القيادة، بل المهمّ أن يبقوا دائمًا عرضةً للمساءلة النبويّة، وأن يداوموا على دراسة التوراة لتذكير أنفسهم بمعاييرها السامية وغاياتها العظيمة. وإنّ أهمّ ما تُشدّد عليه التوراة هو أن يكون القائد صادقًا بما يكفي ليعترف بأخطائه، ولهذا كانت لقرايين الخطايا دلالة عظيمة.

وقد لخصّ الحاخام يوحنا بن زكاي ذلك بتورية بلاغيّة بدعيّة تتعلق بكلمة "أشير" - التي تعني "حين/عندما" - في جملة "حين يخطئ القائد"، رابطًا إياها بكلمة "أشري"، أي "طوبى"، وقال: "طوبى للجيل الذي يكون قائده على استعداد لأن يقدّم قربانًا عن خطايه" كما ورد في التوراة "توسفتا"، باب "بافا كَمَا" 5:7. إنّ القيادة تتطلّب نوعين من الشجاعة: قوّة للإقدام على المخاطرة، وتواضعًا للاعتراف بالخطأ حين تفشل المخاطرة.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG